دلالة المشترك اللفظيّ في سورة مريم

م. م عبير محمد ماهر الجبوريّ
جامعة بغداد / معهد الفنون الجميلة

الملخص:

إنّ المشترك اللفظي هو أحد ظواهر لغتنا العربية الدال على ثراء هذه اللغة الكريمة؛ وسعتها ومرونتها؛ التي خصها الله تعالى بنزول القرآن الكريم. وقد عُرض في هذا البحث نشأة المشترك اللفظي، وآراء العلماء فيه الذين تفاوتوا بين مؤيد ورافض؛ على وجود المشترك في لغتنا العربية. وقد وقع اختياري على تطبيق هذه الظاهرة في سورة مريم ؛لأنها حفية بالآيات الكريمة الدالة على منهجية البحث.

The indication of the correlative or the pronounciational (verbal) interplay

Assistant instructor: Abeer Mohammed Maher Al-Juboori

Abstract:

Pronounciational (verbal) interplay is one of the indicators of the richness of the Arabic language as well as its flexibility and hugeness which is blessed by the all mighty God. The research tackled the origin of that verbal interplay it also includes scientist points of views that are with or against its existence in the Arabic language. The researcher choses Sura Mariam as a model for that study due to its richness that meet the demands of this research.

المقدمة:

الحمدُ للهِ نحمدهُ، ونستعين به، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وأهوائها.

لقد تحدى الله تعالى جميع البلغاء والفصحاء أن يأتوا بمثل ما آتاهم من كلام معجزٍ، أو حتى أن يأتوا بآية واحدة من مثله، ومن أسراره، وبلاغته، واعجازه حارت به العقول لما فيه من اعجاز، وما حمل من ألفاظ التشريع، وأسرار التكليف، وبيان الدين ما لا يكتنفه شك.

واهتم علماء العربية ببيان (المشترك اللفظيّ) كأحد ظواهر اللغة العربية، وأحد عوامل تنمية اللغة العربية، وأحد ادوات فهمها؛ لذلك تناول هذا البحث بيان المعاني التي جاء بها المشترك اللفظي في سورة مريم، بعد أن استعرض المشترك اللفظيّ، وموقف العلماء منه، ونشأته.

التمهيد:

المشترك اللفظيّ دليل على إثراء اللغة العربية وطواعيتها، ومرونتها، وشاعريتها، واتساعها في التعبير، وليس فقرها، وضعفها كما زعم عددٌ من الباحثين؛ لذلك كان المشترك اللفظيّ موضع اهتمام الفقهاء والاصوليين والباحثين في بلاغة القرآن واعجازه من علماء العرب ونقادهم القدامى.

لقد تناول البحث المشترك اللفظيّ في سورة مريم، وهي سورة مكية نزلت بعد سورة (فاطر) وقبل (طه) وعدد آياتها ٩٨ أو ٩٩، حسب الخلاف الموجود في ذلك. وموضوع السورة الأصلي هو شرح التوحيد، ونفي الولد والشريك عن الله سبحانه، مع إلمام بقضية البعث المترتبة على التوحيد.

لقد تبيّن من البحث عددٌ من تلك المعاني من تتبع المشترك اللفظيّ الذي تضمنته هذه السورة.

المبحث الأول/ المشترك اللفظي في اللغة:

المشترك في اللغة: يعني المخالطة والمقارنة ومنه قوله تعالى:﴿**وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾(طه: ٣٢)، ويقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، ومنه: فريضة مُشَركة: يستوي فيها المقتسمون، وطريق مُشتَرَك: يستوي فيه الناس، واسم مُشتَرَك: تشترك فيه معانٍ كثيرة.

أما المشترك اللفظيّ اصطلاحاً؛ فهو اللفظ الواحد الذي يطلق على معانٍ مختلفة ليس بينها ما يجمعها، فهو ما يفهم من قول سيبويه: "أعلم ان من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف نحو قولك: وجدت عليه من المَواجِدِة.

ووجدت إذا أردت وجدان الضالة، وأشباه هذا كثيرٌ"[١]، وهو بعبارة الأصوليين: "اللفظ الواحد الذي يطلق على موجودات مختلفة بالحد والحقيقة اطلاقاً متساوياً"[٢]، وعرفّهُ السيوطيّ بأنهُ: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فاكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"[٣].

وبناءً على ما عرفنا من تعريفات للمشترك اللفظيّ، فإنَّ كلَّ لفظ يدلُّ على معانٍ عدة شرط أساسيّ في حصول الاشتراك؛ لأنَّ المشترك اللفظيّ الحقيقي إنما يكون حين لا نلمح أي صلة بين تلك المعاني، سواء أكانت هذه الصلة معنوية أم بلاغية، وإلاّ تحول هذا الاشتراك إلى مجاز.

ظاهرة المشترك اللفظيّ، وموقف العلماء منها:

اختلف العلماء في إثبات ظاهرة المشترك اللفظيّ، فأثبتها قوم من جمهور العلم، منهم: الخليل بن أحمد، وسيبويه، والأصمعي، وأبو عبيدة، وابن فارس، وابن جني، والثعالبيّ، والمبرد، وابن خالويه، وأبو علي الفارسيّ، والآمديّ، والسيوطيّ، ونسبه إلى الأكثرين (٤).

وقد أشاروا إلى أنَّ المشترك ضرورة لغوية لا غنى عنها لمستعملي اللغة، وإنْ كان على خلاف الأصل. "لو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية"(٥).

إنَّ هذا الخلاف لا طائل من ورائه؛ إذ إنَّ الكلَّ متفقون على أنهُ وجدت في اللغة ألفاظ قد استعملها العرب للدلالة على معانٍ مختلفة، بغض النظر عن سبب ذلك الاستعمال، وهذا كافٍ في اثبات المشترك؛ لذا يرى بعض المحدثين أنَّ من التعسف إنكار المشترك في العربية فضلاً عن أنَّ الرعيل الأول من أعلام علماء اللغة أثبتوه، وتوسعوا فيه، مستندين إلى الشواهد العربية الواردة في كلام العرب والقرآن الكريم، ممّا يؤكد أنَّهُ حقيقة لا يمكن انكارها، وعلامة واضحة في اللغة العربية، ويُعدُّ عاملاً من عوامل تنمية اللغة.

وسواء قلَّ المشترك اللفظيّ إلى الحد الذي اعترف به منكروه، أم كَثُرَ إلى الحدِّ الذي كتب فيه بعضهم مصنفات، فالأمر واحد، وهو أنه موجود في اللغة، وله دور في تحديد هذه الدلالة أو تلك.

أهم أسباب نشأة المشترك اللفظيّ:

١- تداخل اللغات واختلاف القبائل العربية:

فقد يوضع اللفظ لمعنى، ويوضع لمعنى آخر في قبيلة أخرى. ويرى آخرون أنَّ المجاز والاستعارة سبب من أسباب نشوء المشترك، فمثلاً كلمة: "العين"، تدلُّ في الأصل على عضو الأبصار في الانسان والحيوان، بدليل تختلف كلُّ قبيلة عن غيرها من القبائل في استعمال الألفاظ للدلالة على معانٍ، فلما اختلف الاستعمال لديهم جاء جامعو اللغات، فضموا هذه المعاني بعضها إلى بعض من دون أن يعنوا في كثير من الأحوال بإرجاع كلّ معنى إلى القبيلة التي كانت تستخدمه، وبعض أمثلته.

٢- **التطور اللغويّ:**

جعل اللفظُ أحيانًا يتفق مع لفظ آخر في النطق، ولكنَّهما يختلفان في المعنى؛ إلا أن هناك الكثير أيضاً من الألفاظ التي تتفق في بنائها، أي مالها من أحرف وترتيب تلك الأحرف في الكلمة الواحدة إلا أنَّها تدل في كل سياق وضعت فيه على معنى مشترك للفظة نفسها في سياق آخر، أي هناك تقارب في معنى اللفظين المتشابهين في البنية والمختلفين من حيث السياق الذي يأتيان به(٦).

ضمت اللغة العربية كثيراً من الألفاظ المشتركة في المعنى، وأشار إليها عدد من العلماء المتخصصين في اللغة، وضربوا لنا أمثلة كثيرة من ورودها في اللغة العربية، كما اختلف العلماء بين مؤيد للمشترك اللفظيّ ومنكر له، إلّا أنَّ الكثير منهم عني بجمع تلك الألفاظ وتصنيفها ومن ذلك مجموعة من العلماء، وكان ذلك سبباً من أسباب اختلاف المفسرين والفقهاء وعلماء الأصول في تأويل كثير من النصوص القرآنية، وقد أدى هذا الأمر إلى الاختلاف في الاستنباط، وتقرير كثير من الأحكام الفقهية؛ لذلك حظيت ظاهرة المشترك اللفظيّ في القرآن الكريم بعناية كبيرة من لدن المتقدمين.

٣- **اختلاف اللهجات العربية القديمة واللغات:**

تختلف كل قبيلة عن غيرها من القبائل في استعمال الألفاظ للدلالة على معانٍ ، فلما اختلف الاستعمال لديهم جاء جامعو اللغات فضموا هذه المعاني بعضها الى بعض من دون أن يعنوا في كثير من الأحوال بارجاع كل معنى إلى القبيلة التي كانت تستخدمه، وبعض أمثلته، كانت تختلف كذلك في الاصل باختلاف القبائل؛ ولكن معانيه المختلفة قد انتقلت فيما بعد الى لغة قريش وأصبح يطلق على جميع هذه المعاني، ويؤدي مسألة الوضع أن العلماء كانوا يدركون المعاني التي تدور حول اللفظ الواحد، ثم يدركون أيضاً الفرق متى اختلفت الصيغة، وهذه الألفاظ منقولة إلينا في المعنيين من غير نص على اختلاف الوضع، مثل (اليد) تطلق على الذراع كله وتطلق على الساعد والكف، ولدى قبيلة أخرى تطلق على الكف خاصة.

نقل الأصمعي أنَّ عامة العرب؛ كانت تسمي أو تطلق على الزيت اسم (السليط) في حين أنَّ هذه اللفظة أو هذا الاسم يطلق على دهن السمسم عند أهل اليمن (٧).

٤- **المجاز:**

قد يوضع اللفظ لمعنى حقيقي أصلي، ثم يشتهر استعماله في معنى مجازي أي ان اللفظ الواحد لم يكن له إلا معنى واحداً على سبيل الحقيقة ثم تضمن معان أخرى على سبيل الاستعارة والمجاز، وينسى أنه مجاز فيه، فينقل اللفظ إلينا على أنَّه حقيقة في المعنيين: الحقيقي والمجازي. مثال على ذلك يظهر في كلمة (عين) التي تدل في الأصل على عضو الإبصار في الانسان

والحيوان، بدليل معارضة اللغات السامية المختلفة، وهي من الأسماء القديمة فيها. أما العربية ففيها زيادة على هذا المعنى: الإصابة بالعين، وضرب الرجل في عينه، والمعاينة وهذه كلها اشتقاقات فعلية من لفظ (العين) بمعناها القديم ومن معانيها كذلك: المال الحاضر؛ لأنه يعاين كذلك، وبعكس المال الغائب الذي لا تراه العين، ومن معانيها: الجاسوس وربيئة الجيش وهو الذي ينظرهم وهذا على التشبيه والمبالغة، فكأنَّ الجاسوس والربيئة قد تحولا إلى عين كبيرة؛ لأنَّ العين أهم أعضائها في عملها [٨].

٥- **اختلاف الاشتقاق:**

تؤدي القواعد الصرفية إلى أنَّ تتفق في صيغه واحدة، فينشأ من ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة يؤدي إلى جعلها من المشترك مثل (وجد) من الوجدان بمعنى العلم بالشيء، أو العثور عليه فيقال: وجدتُ الضالة إذا عثرت عليها، ووجدت زيداً كريماً إذا علمته [٩].

٦- **تطور المعنى:**

إذا تطور اللفظ، وبقيت أصواته دون تغير أدى ذلك الى حدوث المشترك. منها الأصول التي تشتق منها الألفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة؛ لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة أو ذلك المعنى العام.

مثلاً (الدليل) يقصد بها من يدل على الطريق، أو من يطوف مع السائحين في عصرنا ليدلهم على الأماكن الجديرة بالزيارة، ويراد بها أيضاً الكتاب الذي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد لدلالة الغريب على معالم ذلك البلد وآثاره.

٧- **التطور الصوتي:**

فقد تتغير بعض أصوات اللفظ، أو تحذف، أو يزاد بعضها عليه فيتفق في صورته مع لفظ آخر يختلف عنه في المعنى فينشأ المشترك.

ومثال ذلك ما في المعاجم، من قولها: (الفروة: جلدة الرأس والغنى). وأصل الكلمة بمعنى ثاني هو: أبدلت الثاء فاء على طريقة في مثل (جدث) و(جدف) و(حصالة) و(حفالة) ما أشبه ذلك. ومن الأمثلة كذلك، ما روته المعاجم، من أن (حنك الغراب) هو باطن أعلى الفم من داخل، و(حنك الغراب) شدة سواده، فانه مما لا شك فيه، أن (الحنك) بالمعنى الثاني متطورة عن (الحلك) بمعنى: شدة السواد. قلبت فيها اللام نوناً، كما أبدلت في مثل: اسماعيل واسماعين، اسرائيل واسرائين وغير ذلك [١٠].

المبحث الثاني/ تمثلات المشترك اللفظيّ في سورة مريم (عليها السلام):

بغض النظر عن سبب المشترك اللفظيّ في هذه السورة،إنْ كان الاستعمال مجازيًا أو غيره، فقد تناول البحث بعضًا من أمثلته في السورة والمعاني الإيمانية التي انبثقت من خلاله، ومنها:

١ – الحجة والبرهان:

فقد يرد اللفظ الواحد في سياقات مختلفة، وتكون بعضها داعمة في معانيها للسياقات الأخرى، وذلك من خلال ما تتسم به من معان واضحة القوة، ساطعة الدلالة على قدرة الله سبحانه، ومثال ذلك، كلمة (آية) التي وردت مفردة ومجموعة في السورة بمعانٍ متباينة مرات عدة. فجاءت في الآية:

﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا** ﴾(مريم: ١٠)، بمعنى علامة أو إشارة دالة على حمل امرأته.

وجاءت (آية) في القرآن بمعنى قريب من معنى المعجزة، فيكون ما يقدمه النبي من الخوارق آية، وتكون دليل وعلامة على صدق نبوته، كما في قوله تعالى عن عيسى (عليه السلام):

﴿**وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** ﴾(مريم: ٢١)، أي علامة دالة على كمال قدرته. وإنهَّ تعالى يخلق ما يشاء كيف يشاء: إن شاء خلقه من أنثى بدون ذكر كما فعل بعيسى.

ووردت بمعنى كلام الله أو آيات القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا** ﴾(مريم: ٥٨)، أي إذا سمعوا آيات ربهم تتلى تأثروا تأثراً عظيماً، يحصل منه لبعضهم البكاء والسجود، ومثلها الآية: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا**﴾(مريم: ٧٣)، أي إنَّ كفار قريش كانوا إذا تَلاَ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آيات هذا القرآن.. عارضوها، وصدوا عنها، وكذلك جاءت بالمعنى نفسه في قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا**﴾(مريم: ٧٧).

من خلال هذه السياقات المختلفة لهذه الكلمة، اكتسبت كلمة (آية) التي هي بمعنى كلام الله مزيدًا من الحجة والبرهان، والقوة والبيان؛ لأنَّ ما جاء من كلام الله في القرآن الكريم، إنّما هو (آيات) دالة على قدرته ووحدانيته، ساطع الدلالة في برهانه وحجته، مثله، مثل المعجزات الحسية الأخرى، ومثل (آية) ومعجزة خلق عيسى (عليه السلام) من أم دون أب وتكلمه، في المهد وهو صبي.

وما دامت (آيات) القرآن معجزات بيانية، مثلها مثل المعجزات الحسية الأخرى، في ظهور حجتها، وقوة دلالاتها على الخالق، فحري بالمؤمنين إذن أن يتأثروا بها عند سماعها، وهي تتلى

عليهم، وأن يخروا ساجدين باكين من فرط تأثرهم بها، وانفعالهم مع معانيها، كما ورد في الآية ٥٨، التي ذكرناها سلفًا.

٢ – أهمية الفعل:

كذلك تعدد معاني اللفظ الواحد يدل –أحياناً– على التنبيه على خطورة مدلول هذا اللفظ، واعلاء شأنه، وإنهَّ ليس أمرًا هامشيًا، أو حدثًا عابرًا، وإنما ينبني عليه كثير من النتائج والأهمية.

نجد ذلك في الفعل (دعا) أو إحدى تصريفاته، إذ دلت معانيه المختلفة في السورة على أهمية الدعاء وخطورته، لكونه متصلاً بأخطر موضوع جاء به القرآن، وهو إفراد الله –وتوحده– بالألوهية والعبودية، وقد جاء في معجم مقاييس اللغة: "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام منك، تقول: دعوت أدعو دعاء"(١١)، أي بمعنى النداء والدعاء.

وجاء بمعنى الطلب من الله ورجائه كما في الآية: ﴿**وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**﴾(مريم: ٤)، والمقصود بدعائي إياك (١٢).

ويأتي دعاء الله على أكثر من وجه، "قال أبو اسحاق بمعنى الدعاء لله على ثلاثة أوجه: فضرب منها: توحيده والثناء عليه. والضرب الثاني مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منها، كقولك: اللهم اغفر لنا، والضرب الثالث: مسألة الحظ من الدنيا كقولك: اللّهم ارزقني مالاً وولدًا، وإنما سمي هذا جميعه دعاء؛ لأنَّ الانسان يصدر في هذه الأشياء بقوله: يا الله يا رب يا رحمن"(١٣).

وورد (دعوا) بمعنى نسبوا، أو سموا كما في قوله تعالى: ﴿**أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا**﴾(مريم: ٩١)، بمعنى سمى المتعدي إلى مفعولين، وقد اقتصر على ثانيهما كلّ ما دعي له ولدًا من أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعة ادعى إلى فلان؛ أي انتسب إليه"(١٤).

وورد الفعل (تدعون) بمعنى تعبدون في الآية: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا**﴾ (مريم: ٤٨)، "(وأدعو ربي) أعبده وحده"(١٥)، وعبر عن العبادة بالدعاء، لكون الدعاء أخصُّ مظهر من مظاهر العبادة، ولكونه أحد تجلياتها المهمة؛ ولأنهُ منها، ومن وسائطها. ومنه قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) "الدعاء هو العبادة"(١٦).

تدلُّ هذه المعاني المختلفة لفعل (الدعاء) في السورة: من طلب العون إلى العبادة، إلى نسبة الولد إليه –سبحانه–، على خطورة هذا الفعل، من حيث كونه يرتبط بالعقيدة وبمعنى التوحيد، ويتعلق بالشعائر الدالة على الإيمان أو الكفر، فهو من ثمَّ ليس كأي كلمة هامشية.

٣ – انسجام المؤمنين مع عناصر الكون في عبوديتهم لله:

ترد بعض الألفاظ أو الأفعال في سياقين مختلفين، ويكون لورودها فيهما معنى عميق، وفكرة مهمة فالفعل (خرّ)، ورد في سورة مريم مرتين، وجاء مرة مع المؤمنين بمعنى سجد في قوله تعالى:

﴿**خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾(مريم: ٥٨)، فالمؤمنين "عند تلاوة آيات الله يخرون سجداً وبكيا خضوعاً وخشوعاً وحذراً وخوفاً"(١٧).

وفي آية أخرى مع الجبال، بمعنى سقط وانهدَّ في قوله تعالى:﴿**وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**﴾(مريم: ٩٠)، فهي تتساقط أشدَّ ما يكون "تساقط البعض على بعض؛ استعظاماً للكلمة، وتهويلاً من فضاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين، وهدمها لأركانه وقواعده"(١٨).

إذا قارنا بين المؤمنين كيف يهبطون ساجدين لله خشوعاً وتأثراً مما سمعوا من آياته سبحانه، وبين الجبال كيف تنهد من علوّ متحطمة غضباً على افتراء الكافرين، الذين أنسبوا الولد لله سبحانه.

ففي استخدام الفعل نفسه –بمعنيين متباينين– في السورة إيحاء بالتوافق والانسجام ما بين المؤمنين، وعناصر الطبيعة، والجبال، في عبادة الله، والإيمان به، وتسبيحه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾(الاسراء: ٤٤)، وبذلك يظهر أنَّ الكافرين وحدهم خارجون عن الاجماع الكونيّ على عبادة الله وحده، وأنَّهم هم الفئة الشاذة الوحيدة في هذا الكون الممتد.

ويظهر معنى آخر لاستخدام (خرّ) مع كلٍّ من المؤمنين والجبال، وهو يتمثل في الايحاء بعظمة خرّ المؤمنون، وكأنه –في قدره ومكانته– خرَّ جبال شامخة وسقوطها، لا خرّ بشر، ولا وزن لهم، وهذا من رفع الله لمنزلة عباده المؤمنين الساجدين، فسجودهم وحي شموخ، وثقل كثقل الجبال، وهكذا، فمن تواضع لله أعزه الله، ورفعه مكاناً عليا.

٤– التبشير بالمصير:

ومن ذلك كلمة (اللسان)، التي جاءت مرتين في السورة في سياقين مختلفين، وردت مرة بمعنى اللغة، في قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا**﴾(مريم: ٩٧)، "ويقال لكل قوم لسيان ولِسن –بكسر اللام– أي لغة" ووردت بمعنى الثناء في قوله:﴿**وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**﴾(مريم: ٥٠).

وقد وردت في كلتا الآيتين، بمعنى ايجابي، ففي الأولى كان اللسان بقدرة الله في سياق مكافأة الانبياء المذكورين بالذكر الحسن بين الناس نتيجة لصلاحهم وحسن إيمانهم.

٥– اظهار شمول القدرة الالهية وسعتها:

ومن الامثلة على المشترك اللفظي في السورة الفعل (جعل)، الذي جاء ليعبر بصيغه المختلفة، وبمعانيه المتنوعة عن شمول قدرته سبحانه، وفعله الناجز.

وقد وردت في تسع آيات من السورة، وجاء فيها بصيغ متنوعة من الماضي، والمضارع، والأمر كما يأتي: (جعل، يجعل، سيجعل، اجعل، واجعله، وجعلني، نجعل، ولتجعله، جعلنا)، ولم

تتشابه صيغة واحدة مع غيرها تشابهًا تامًا؛ لاختلاف الصيغ نفسها، أو لاختلاف الضمائر الملحقة بها.

ومن معاني (جعله) في اللغة: "صنعه، وجعله: صيره.. وجعل: عمل وهيا وجعل: خلق.."[١٩] وذكر أبو هلال العسكريّ من معانيه –أيضاً– تغيير صورة الشيء بإيجاد الأثر فيه، ومعنى الأحداث، ومعنى الخبر، ومعنى الحكم، ونصّ الأصفهاني أن "جعل لفظ عام في الأفعال كلها، وهو أعمُّ من فَعَلَ وصنع وسائر أخواتها"[٢٠].

وذُكر في السورة بمعان متعددة، ففي قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً**﴾ (مريم: ١٠) جاء بمعنى هيئ، أي هيئ لي "علامة تدلني على تحقق المسؤول، ووقوع الحَبَلَ"[٢١].

وجاء بمعنى تصيير الشيء على حالة معينة في الآيات: ﴿**وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾(مريم: ٦)، ﴿**وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾(مريم: ٣٢)، ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ**﴾(مريم: ٣٠–٣١) ﴿**وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا**﴾(مريم: ٤٩).

وجاء بمعنى أوجد في قوله تعالى: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا**﴾(مريم: ٧)، أي لم نوجد قبله من يتسمى باسمه.

وجاء بمعنى يخلق في الآية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا**﴾(مريم: ٩٦)، "أي يخلق لهم في صدور المؤمنين مودة، يغرس لهم فيها محبة كقوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾(النحل: ٧٢)، أي خلق"[٢٢].

وهكذا فقد حمل (جعل) المعاني الآتية في السورة: (هيأ، وصير، وأوجد، وخلق)، وكلها جاءت في سياق يبين إكرام الله للمؤمنين، ومنّه عليهم بنعم النبوة والرضا.

وجاءت –أيضاً– في سياق يظهر معجزاته–سبحانه– والعلامات الدالة على سعة قدرته وشمولها، كما في الآيات السابقة، وفي هاتين الآيتين ﴿**وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا**﴾(مريم: ٢١)، ﴿**فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**﴾(مريم: ٢٤).

الآيتان تتحدثان عن معجزة خلق عيسى (عليه السلام) وفي الأولى شاء الله أن يجعل عيسى (عليه السلام) علامة دالة على كماله وسعة قدرته، وفي الثانية جعل الله تحت مريم نهراً جاريًا إكراماً لها، أو جعل تحتها فتى سيداً هو عيسى (عليه السلام).

وكذلك جاء لفظ الجلالة (الله) –أو الضمير العائد عليه– فاعلاً في جميع صيغ (جعل) الواردة في السورة، وفي ذلك إشارة مهمة إلى أنهَّ لا أحد يستحق أن يكون فاعلاً لهذا الفعل سواه – سبحانه–، بسبب طبيعة المعاني العظيمة التي حملها في السورة، والتي لا يقدر عليها أحد غيره سبحانه.

وجاء المفعول به أو من وقع عليهم فعل (جعل) في كلِّ الآيات، من الأنبياء والصالحين أو الأشياء الحسنة التي حصلت للمؤمنين، وكانت مكافأة لهم، بما يشيعه ذلك من ظلال المودة الربانية والإكرام الإلهّي على أوليائه وأنبيائه.

الخاتمة:

المشترك اللفظي من ظواهر اللغة العربية الدالة على ثراء هذه اللغة وسعتها ومرونتها، تعرض هذا البحث المتواضع لنشأة المشترك اللفظي، وآراء العلماء الذين تفاوتوا بين مؤيد ورافض لوجود المشترك اللفظي في اللغة العربية. اتخذ هذا البحث بعض الأمثلة للمشترك اللفظي التي اقتصرت على ما جاء منه في سورة مريم، وقد وقع الاختيار على هذه السورة ؛لأنها تدور حول أهم موضوع في الوجود وهو التوحيد.

الهوامش والمصادر:

(١) الكتاب لسيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل الجديد، بيروت، ٢٤/١.

(٢) معيار العلم، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: سلمان دنيا، مصر: ٨١.

(٣) المزهر في علوم اللغة، لأبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد جواد المولى، بيروت: ٣٦٩/١.

(٤) ينظر: الكتاب: ٢٤/١، والعين: ٢٩٣/٥.

(٥) المزهر: ٣٨٥/١.

(٦) ينظر: فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب: ٣٢.

(٧) ينظر: فصول في فقه اللغة: ٣٣١.

(٨) تنظر: فصول في فقه اللغة: ٣٢٧.

(٩) ينظر: صور المشترك اللفظي في القران الكريم واثرها في المعنى، د. زيد بن علي بن مهدي مهراش، الاستاذ المشارك بكلية التربية، جامعة جازان: ٢١٧.

(١٠) ينظر: فصول في فقه اللغة: ٣٣٣.

(١١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٤١١هـ/١٩٩١م: مادة: دعو.

(١٢) الجامع لاحكام القران، القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري: ٨٠/١١.

(١٣) لسان العرب، لابن منظور: مادة: دعا.

(١٤) تفسير ابي السعود، ابو السعود محمد بن محمد العمادي: ٢٨٣/٥.

(١٥) المصدر نفسه: ٢٦٩/٥.

(١٦) الكشاف للزمخشري: ٢٠/٣-٢١.

(١٧) التفسير الكبير، فخر الدين بن ضياء الدين الرازي: ٢٣٤/٢١.

(١٨) المصدر السابق: ٢٥٤/٢١.

(١٩) لسان العرب: مادة: جعل.

(٢٠) معجم مفردات الفاظ القران، العلامة ابو القاسم الحسين بن محمد الاصفهاني: مادة: جعل.

(٢١) تفسير ابي السعود: ٢٥٨/٥.

(٢٢) بيان اعجاز القران ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز، لمحمد بن محمد ابراهيم الخطابي: ٤٥.